

*** Corresponding Author**

1. Hamid Jawad Mahdi
Al-Mansoori Arabic Language,
Shiraz University
2. Hussein Marashi
Department of Arabic
Language and Literature,
Shiraz University
3. Mohammed Noori
Mohammed Makasees
University of Babylon

Email:

1. ammariqzar190@gmail.com
2. hoseinmarashi@shirazu.ac.ir
3. hum.moh.noori@uobabylon.edu.iq

edu.iq

Keywords: Quranic referencing,
Safi al-Din al-Hilli, direct
referencing, indirect referencing,
poetic text.

Article history:

Received: 2025-02-18

Accepted: 2024-03-08

Available online: 2025-05-01



The Quranic Referencing in the Poetry of Safi al-Din al-Hilli

677 - 752 AH / AD 1277 – 1339

ABSTRACT

Safi al-Din al-Hilli is regarded as one of the most prominent poets of the Mamluk era, distinguished by the remarkable linguistic and literary richness of his works. One of the defining features of his poetry is his profound and extensive incorporation of Quranic references, which he achieves through direct citation of Quranic verses, the utilization of Quranic imagery, and the inspiration drawn from religious values and concepts. Al-Hilli employed Quranic verses explicitly within his poetry to reinforce meanings and convey profound connotations, a practice that stemmed from his deep familiarity with the Quran and his ability to integrate religious texts into an eloquent poetic framework. His use of Quranic references was not merely a means of affirming meanings but also served to imbue his poetic texts with an aura of sanctity and spiritual depth.

Notably, al-Hilli prominently employed imagery and metaphors derived from the Quran, particularly those related to natural beauty, paradise, and hell—motifs frequently repeated in the Quran and vividly reflected in his poetry. These images significantly contributed to the emotional and psychological impact of his verses. Moreover, he drew inspiration from Quranic values and concepts, such as justice, piety, patience, and repentance, to shape his poetic messages, demonstrating his deep engagement with Quranic teachings.

Al-Hilli's use of Quranic references in his poetry also reflects the cultural and religious milieu of the Mamluk era, in which an emphasis on religious texts and Quranic interpretations was an integral aspect of intellectual and cultural life. Thus, Quranic referencing in his poetry did not serve merely as an ornamental or linguistic device but constituted a fundamental element of the poetic structure and meaning. Through his creative use of Quranic verses and imagery and his engagement with religious values, he succeeded in crafting poetic texts that harmonized literary beauty with spiritual depth, establishing him as one of the leading figures of Islamic Arabic poetry in his time.

المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي 677 - 752هـ / 1277 - 1339م

م.م. حامد جواد مهدي المنصوري/ قسم اللغة العربية، جامعة شيراز
ا.د. حسين مرعشي/ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة شيراز
ا.د. محمد نوري الموسوي/، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل

المستخلص

يعد الشاعر صفي الدين الحلي أحد أبرز شعراء العصر المملوكي وقد تميزت أعماله الأدبية بثناء لغوي وأدبي كبيرين ومن أهم السمات البارزة في شعره هي توظيفه العميق والمكثف للمرجعية القرآنية من خلال الاستشهاد بالآيات القرآنية وتوظيف الصور القرآنية واستلهاهم القيم والمفاهيم الدينية، فقد استعان صفي الدين الحلي بالآيات القرآنية بشكل مباشر في شعره لتعزيز المعاني وتقديم الدلالات العميقة وجاء هذا الاستخدام نتيجة اطلاعه الواسع على القرآن الكريم وقدرته على دمج النصوص الدينية في سياق شعري بليغ، فكان توظيفه للآيات القرآنية ليس فقط لتأكيد المعاني وإنما لإضفاء جو من القدسية والعمق الروحي على النصوص الشعرية، إذ استخدم الشاعر الصور والتشبيهات المستمدة من القرآن الكريم بشكل بارز كالصور المتعلقة بالجمال الطبيعي والجنة والنار والتي كررت كثيراً في القرآن وظهرت بوضوح في شعره فساهمت هذه الصور في تعزيز التأثير العاطفي والنفسي للآيات، واستلهم صفي الدين الحلي مواضيع من القيم والمفاهيم القرآنية لتوجيه رسائله الشعرية كالعدالة، والتقوى، والصبر، والتوبة والتي تكررت في أشعاره الأمر الذي عكس تأثره العميق بالتعاليم القرآنية، كما عكس توظيف صفي الدين الحلي للمرجعية القرآنية في شعره تأثير البيئة الثقافية والدينية للعصر المملوكي إذ كان الاهتمام بالنصوص الدينية والتفسيرات القرآنية جزءاً أساسياً من الحياة الفكرية والثقافية، ومن ثم فإن المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي لم تبرز بوصفها عنصراً زخرفياً أو لغوياً فقط، بل لكونها جزءاً أساسياً من بنية النص الشعري ومعناه من خلال استخدامه المبدع للآيات والصور القرآنية واستلهاهم القيم الدينية فاستطاع أن يخلق نصوصاً شعرية تجمع بين الجمال الأدبي والعمق الروحي الأمر الذي جعله أحد أعلام الشعر العربي الإسلامي في عصره.

الكلمات المفتاحية: المرجعية القرآنية، صفي الدين الحلي، المرجعية المباشرة، المرجعية غير المباشرة، النص الشعري

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث في المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي للأسباب التالية:

- 1- المساهمة في إثراء الدراسات الأدبية إزاء الشعراء الكبار في العصر المملوكي وفهم تأثير القرآن الكريم على نتاجهم الأدبي.
- 2- توضيح تفاعل النصوص الأدبية مع النصوص الدينية وتوظيفها بطريقة تدمج بين الجماليات الأدبية والقيم الروحية.
- 3- يقدم البحث إسهاماً في الدراسات القرآنية من خلال استكشاف كيفية استلهاهم الشعراء من القرآن الكريم.

4- يساعد في فهم الأطر الثقافية والدينية التي شكلت فكر وأدب صفي الدين الحلي مما يعكس العلاقة بين الدين والأدب في العصر المملوكي.

هدف البحث:

- 1- تحليل النصوص الشعرية لصفي الدين الحلي لاستخراج وتحديد المرجعية القرآنية فيها.
- 2- معرفة الأبعاد الجمالية والأدبية لاستخدام القرآن الكريم في الشعر.
- 3- تقديم رؤية شاملة حول تأثير القرآن على الأدب في العصر المملوكي من خلال دراسة حالة الشاعر صفي الدين الحلي.

أهمية البحث:

ترجع أهمية البحث في المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي للأسباب التالية:

- 1- المساهمة في إغناء الدراسات الأدبية إزاء الشعراء الكبار في العصر المملوكي وفهم تأثير القرآن الكريم على نتاجهم الأدبي.
- 2- توضيح تفاعل النصوص الأدبية مع النصوص الدينية وتوظيفها بطريقة تدمج بين الجماليات الأدبية والقيم الروحية.
- 3- يقدم البحث إسهاماً في الدراسات القرآنية من خلال استكشاف كيفية استلهام الشعراء من القرآن الكريم.
- 4- يساعد في فهم الأطر الثقافية والدينية التي شكلت فكر وأدب صفي الدين الحلي مما يعكس العلاقة بين الدين والأدب في العصر المملوكي.

هدف البحث:

- 1- تحليل النصوص الشعرية لصفي الدين الحلي لاستخراج وتحديد المرجعية القرآنية فيها.
- 2- معرفة الأبعاد الجمالية والأدبية لاستخدام القرآن الكريم في الشعر.
- 3- تقديم رؤية شاملة حول تأثير القرآن على الأدب في العصر المملوكي من خلال دراسة حالة الشاعر صفي الدين الحلي.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج التحليلي لتحليل النصوص الشعرية واستخراج المرجعيات القرآنية، وعلى المنهج التاريخي لدراسة السياق الثقافي والديني للعصر المملوكي وتأثيره على الشاعر.

أسئلة البحث:

السؤال الرئيس:

ما مدى تأثير المرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي وكيف تتجلى هذه المرجعية في أعماله الشعرية؟

الاسئلة الفرعية:

- 1- ما الآيات القرآنية التي استشهد بها صفي الدين الحلي في شعره؟
- 2- كيف استخدم الشاعر الصور القرآنية في صياغة المعاني والأبيات الشعرية؟
- 3- ما المفاهيم والقيم الدينية المستمدة من القرآن الكريم التي تظهر في شعر الحلي؟

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، نحمده ونشكره على نعمه التي لا تُحصى، ونستعين به في كل أمر. والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المنتجبين ...

كان القرآن الكريم مصدر إلهام للشاعر صفي الدين الحلي في كثير من المواضع للتعبير عن الأفكار والمعاني التي يريد البوح بها، سواء عن طريق تضمين شعره الألفاظ القرآنية بحرفيتها، أو عن طريق استلهامه معاني آيات القرآن الكريم والإشارة إليها، فنزاع إلى الأخذ منه كثيراً، حتى غدا ذلك في شعره خاصة فنية تميزه عن غيره من الشعراء الذين كان اهتمامهم بزخرفة أشعارهم بفنون البديع، وكفى بالقرآن وحده آلة وأداة في استعمال أفانين الكلام، ويبدو للدارس أنه قد كان للنشأة الدينية والأدبية التي نشأها الحلي أكبر الأثر في جعله يتفاعل مع

القرآن الكريم، حتى بدت مرجعيته القرآنية واضحة ذلك الوضوح في أشعاره، فانفعل بمعانيه، ونطق بألفاظه ونهل من معينه، وبدا تأثيره بالألفاظ القرآنية بشكل جلي يبين عمق ثقافته القرآنية وسعتها، فأنكأ عليها في اللفظ والدلالة، فكان من الذين غايتهم أن يقتبسوا من ألفاظه ومعانيه في أنواع مقاصدهم، أو يستشهدوا ويتمثلوا في فنون مواردهم ومصادره، فيكتسي كلامهم بذلك الاقتباس معرضاً ما لحسنه غاية، ومأخذاً ما لرونقه نهاية، وإن المتأمل لشعر صفي الدين الحلي يجده مفتوناً بالاقتباس من القرآن الكريم وجعله مرجعية كبرى لشعره افتتانه بالغا، فاستعمله كثيراً حتى غدا سمة بارزة ومعلماً واضحاً في شعره، وقد سهل له ذلك ما تهيأ له من قدرة فنية وطاقة شعرية وخلفية دينية جعلته متمكناً من كتاب الله واستظهاره له، وتدبره لمعانيه، حتى غدا "مصوراً في فكره، دائراً على لسانه، متمثلاً في قلبه، ذاكرًا له في كل ما يرد عليه من الوقائع التي تحتاج إلى الاستشهاد به فيها، ويفتقر إلى إقامة الأدلة القاطعة به عليها، وكفى بذلك معيناً في قصده، ومغنياً له عن غيره، وخلال هذا البحث سوف نتطرق إلى صيغتين اتبعهما الحلي في مرجعيته القرآنية وهما المرجعية المباشرة، والمرجعية غير المباشرة وذلك من خلال مبحثين.

المبحث الأول: المرجعية القرآنية المباشرة في شعر الحلي

نشأ محباً للعلم، وحفظ القرآن في طفولته، ودرس العلوم الإسلامية، واللغة والتفسير والفلسفة والحديث والفقه، (عبد السيد، 2023: ص144) لذلك نجد في شعر صفي الدين الحلي الكثير من المواضيع التي جعل فيها النص القرآني المباشر بألفاظه ومعانيه مرجعاً له، في دلالة واضحة على طاقة إبداعية كبيرة، وقدرة فنية واسعة على استثمار النص القرآني استثماراً يليق بالمعنى الذي يريد إيضاحه وإبراز صورته، ومن ذلك قوله:

يا ربّ ذنبي عظيمُ
بل عزني منك وعدٌ
وأنت عني حليمُ
له الأنامُ ترومُ

إذا قلت في الذكر للمص
طفى وأنت كريمُ
(نبيّ عبادي أني أنا الغفور الرحيم) (الحلي، د.ت: 671)

وقد لجأ الشاعر صفي الدين الحلي هنا إلى توضيح مرجعيته القرآنية، وجعل النص القرآني المقتبس واضحاً أشد الوضوح، وليزيد ذلك بياناً دلّ عليه بقوله: إذا قلت في الذكر... فجاء النص مصرحاً بقوله سبحانه وتعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الحجر: 49]، ومن ذلك أيضاً ما ورد في حديثه عن الذين يماطلون في الوعود عبر تضيق الوقت بين العذر والعذر، مبيناً أن الإبطاء في إنفاذ الوعود ليس من صفات الإنسان الصالح، بل نجد أن صفي الدين الحلي ينزع عن لا يتعجل في إنفاذ الوعد صفة الإنسانية، فقال:

لمّا تطاول بي إفراطُ مطلق لي
أيقنتُ أن لست إنساناً لفعلك ذا
لما تطاول بي إفراطُ مطلق لي
لما تطاول بي إفراطُ مطلق لي
لما تطاول بي إفراطُ مطلق لي
لما تطاول بي إفراطُ مطلق لي

فالشاعر هنا يستثمر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ [سورة الأنبياء: 37]، وقد جاء استثماره لهذه الآية أحسن استثمار، فهو يدل على إيقانه بأن مماطله الوعد ليس إنساناً بصدق قول الله سبحانه وتعالى، ومن أصدق من الله قتيلاً.

ويبدو مما سبق ذكره أن صفي الدين الحلي كان يعمد إلى إيراد آية أو جزء من آية في تضاعيف شعره من دون حدوث أدنى تصرف بالألفاظ على الوجه الذي لا يشعر فيه المتلقي بأن ما يذكر ليس جزءاً من الشعر، فينبه عليه حيناً، ويتجنب التنبيه عليه أحياناً كثيرة، فقد كان يرى أن "القرآن أبين من أن يحتاج إلى بيان، وكيف يخفى وهو المعجز الذي لو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتيوا بمثله لا يأتون بمثله" (ابن الأثير، 1998: 287)، ومودى ذلك أن الشاعر كان يأتي بالنص القرآني من تحويله عن لفظه ليوظفه في معنى آخر خدمة للغرض الذي يرمي إليه الشاعر والموقف الذي يمر به، وبما ينسجم مع دلالة الغرض الشعري الذي نظمت لأجله، ونلاحظ أن مرجعية الشاعر القرآنية المباشرة غالباً ما تتجلى في قوافيه مما يدل على براعة فائقة وقدرة فنية متمكنة، ومن ذلك ما نجده في قوله:

قد صبرنا بالوعد منك شهورا
ما رأينا بهن ليلة قدر

كل تلك الشهور بيض، ولكن (ليلةُ القدر خيرٌ من ألف شهر) (الحلي، د.ت: 584)

فالشاعر يتحدث هنا عن المماثلة في الوعد، وعن من وعده بشيء لينجزه له، ثم مضت عدة أشهر ولم يف له بوعده، ولم يك منه إلا المماثلة والتسوية، فهو يأمل منه أن يكون صادقاً في وعده، كما هي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، فجاء بقوله تعالى: «لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ» [سورة القدر: 3]، ليناسب الغرض الذي يتحدث عنه مع بعد المعنى الذي يرمي إليه الشاعر، فكأنه وجد في المجيء بهذه الآية الكريمة مرجعاً "لإقامة الحجة، وقطع النزاع وإذعان الخصم، وقد تقوم الآية الواحدة المستشهد بها في بلوغ الغرض ما لا تقوم به الكتب المطولة والأدلة القاطعة" (الحلي، 1980: 76).

ومن ذلك أيضاً ما نجده في قوله مطمئناً إلى رحمة الله وعفوه:

تَبْ وَتَبْ وَادْعُ ذَا الْجَلَالِ بِصَدَقِ تَجِدُ اللَّهَ لِلدَّعَاءِ سَمِيحاً
لا تخف مع رجاء ربك ذنباً إنه يغفر الذنوب جميعاً (الحلي، د.ت: 671)

فالشاعر هنا يشعر بالخوف من الذنوب المتركمة التي اكتسبها في حياته وقد تقدمت به السن، ثم يطمئن نفسه بعد أن باتت تلك الذنوب تورقه كمن يحاسب نفسه، فدعا نفسه إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه، فهو الذي يغفر الذنوب، جاعلاً الاطمئنان الذي يعتقده مقترناً برجائه عفو الله سبحانه، فهو من يستمع الدعاء، فاستعان بقوله تعالى: «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» [سورة الزمر، الآية 53]، ولا نبتعد إذا قلنا إن في قوله: وادع ذا الجلال بصدق...، إشارة إلى قوله سبحانه وتعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» [سورة البقرة: 186]، فكانت المرجعية القرآنية التي اعتمد عليها الحلي باباً لتداعيات المعاني وإحياءات الألفاظ (الحلي، 1980: 76)، وتبدو المرجعية القرآنية المباشرة متمثلة في طائفة جميلة من شعره استثمر فيها الآيات القرآنية ووظف دلالاتها بأبهي صورة، كما في قوله:

نالت الأعداء بالسعي منهاها فبرغمي يا أبا الفضل رضاها
كان سعي الضد فيما بيننا (حاجة في نفس يعقوب قضاها) (الحلي، د.ت: 591)

فقد قال الشاعر هذه الأبيات في صديق له يدعى أبا الفضل حاول الأعداء السعي في بث الخلاف بينهما، ويبدو من كلام الشاعر أنهم قد نجحوا في ذلك، فقد نالت الأعداء مرادها، ويشير بقوله: برغمي، إلى أنه قد حاول جاهداً أن يحتفظ بوداده ويصون مودته ويطلب رضاه، إلا أن الأعداء لم يرقهم ذلك، فأبوا إلا الخراب وإقامة القطيعة بينهما لأمر أسروه في أنفسهم، فاستعان لإبراز هذا المعنى من عدم معرفة غايتهم من وراء سعيهم في بث الخلاف بينهما بقول الله سبحانه وتعالى حكاية عن نبي الله يعقوب عليه السلام: «وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» [سورة يوسف: 68]، ومن جميل استثماره لدلالات الآيات الكريمة ما قاله في معرض النصيح والدعوة إلى القناعة، فقال:

قناعة المرء بما عنده مملكة ما مثلها مملكة
فارضوا بما قد جاء عفواً: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) (الحلي، د.ت: 652)

فهو يدعو إلى القناعة والرضا بما قد قسمه الله سبحانه وتعالى لعباده، كما يدعو إلى البعد عن الطمع الذي يورد صاحبه إلى المهالك، فاستعان بقول الله سبحانه وتعالى: «وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» [سورة البقرة: 195]، ومن ذلك أيضاً ما نجده في قوله:

حملتنا بالمن حملاً ثقیلاً (حسبنا الله ونعم الوكيل) (الحلي، د.ت: 578)

حيث يمضي الشاعر في الرجوع إلى القرآن الكريم يستعين به ويستذكر آياته في كل مناسبة وظرف يمر به، ليكسب شعره رونقاً وحلاوة، فيخاطب من يريد المن عليه ويقول له إذا كنت تريد أن تحملنا الجميل فهذا ما لا طاقة لنا بحمله، فحسبنا الله معك في الكفاية والإعانة فهو الذي نفوض إليه أمرنا فيما يعرض علينا من الشدائد المتمثلة هنا في منك علينا، فاستحضر قول الله سبحانه وتعالى: «لَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» [سورة آل عمران: 173]، ومن طريف استعانتها بكلام الله سبحانه وتعالى في شعره، ما قاله يذم حماماً دخل إليها، فقال فيها:

إن حمامك قد ض مت حميماً وحماماً
فهو مثل النار ساءت مستقراً ومقاماً (الحلي، د.ت: 638)

لقد وجد الشاعر هذه الحمام التي دخلها قذرة جداً فلم ترق له، ورآها مظلمة وموحشة وشديدة الحرارة حتى كأنها الجحيم، فأراد أن يعبر عن بشاعتها وحرارتها فما كان منه إلا أن يشبها بالنار، ولما أراد أن يعبر عن استيائه من دخولها والمكوث فيها، وأن دخولها أمر لا يسر أحداً استعان بقول الله سبحانه وتعالى في عذاب النار: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ [سورة الفرقان: 65-66]، ومن ذلك أيضاً قوله في غلام جميل بدا وجهه وسط شعره الأسود الذي انساب على كتفيه، وشبهه بالشمس في جنح ليل مظلم، وعلى خده خال أكسبه مزيداً من الجمال، فكان وجود هذا الخال من مشيئة الله وتقديراته لتكتمل صورته الجميلة، فقال:

جَلَّ الَّذِي أَطْلَعَ شَمْسَ الضُّحَى مشرقةً في جنح ليل بعيم
وَقَرَّ الْخَالُ عَلَى خَدِهِ (ذلك تقديرُ العزيزِ العلِيمِ) (الحلي، د.ت: 696)
ومن ذلك أيضاً قوله:

سَرَكُ إِنْ صَنَّتُهُ بِصَمْتٍ أُلْصَحَ بَيْنَ الْأَنَامِ شَانُكَ
فَلَا تَقَهْ لَامِرِي بِسَرٍّ و(لا تحركْ به لسانك) (الحلي، د.ت: 660)

فالشاعر في هذه الأبيات يوصي بحفظ السر الذي ربما أودى إفشاؤه بحياته، وكان سبباً في هلاكه، وقد قرن إفشاء السر بالهلاك معتمداً للإيحاء بهذا المعنى على قول الله سبحانه وتعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ * لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [سورة القيامة: 14-16].

ويبدو للمطلع على شعر الصفي إكتاره من الاقتباسات القرآنية المباشرة، وفيما تقدم أمثلة عن هذا الكثير، وقد ظهرت أهمية المرجعية القرآنية المباشرة في هذه الأمثلة في مجال خصائص الشعر وسماته، حيث قام الحلي بتطعيم أبياته وقصائده بآيات القرآن الكريم طلباً لتدعيم المعنى وتقويته، مما أضفى عليه الرقة والجمال والبهجة، فهو "يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة وسلس الوقع" (الجاحظ، 1423هـ: 73)، وهذا نتج عنه المزيد في الوضوح وقوة التأثير، إذ إن ما يتميز به القرآن الكريم "من حسن الطلاوة ولطف الرونق ما يدرك بالضرورة، ويظهر التفاوت بينه وبين غيره بالحسن والذوق، وما ذاك إلا إنه كلام لم تقتضيه مدارج الأسنة، ولا سمحت قريحته بمعارضة لفظة من ألفاظه على تكرار الأيام والأزمنة (العلوي، 207: 439)، قد منح الدلالات المزيد من القوة والإيحاء.

المبحث الثاني: المرجعية القرآنية غير المباشرة في شعر الحلي

تتمثل المرجعية القرآنية غير المباشرة في شعر صفي الدين الحلي عبر مجيئه بالآيات القرآنية في بعض الأبيات بعد إجراء تغيير طفيف عليها لا يمس جوهرها تارة، وعبر الإشارة إليها أو الإيحاء بها والتلميح إلى معناها تارة أخرى، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً في ديوانه، ومن ذلك قوله:

أُنْعَمُ وَشَرَفُ الْجَوَابِ أَوْ زَرَقْد زَادَ الْجَوَى بِي
فَبِمَجْلِسِي صَرَفُ الْمَدَامِ لَدَى سَوَاقِينَا الْجَوَابِي
وَبِهِ الْقُدُورُ الرَّاسِيَاتِ لَدَى جَفَانٍ كَالجَوَابِي (الحلي، د.ت: 539)

يدعو الشاعر في هذه الأبيات حبيباً له ليزوره ويشرب الخمر معه، ثم يستعرض بعض الأدوات الموجودة في المنزل وهي القدور الراسيات والجفان كالجوابي، وهنا يتبادر فوراً إلى ذهن المتلقي إحالة إشارية إلى قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجَفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سورة سبأ: 13]، حيث يصف الله سبحانه وتعالى مملكة نبي الله سليمان عليه السلام وكيف يعمل الجن له، وكأن الشاعر يريد أن يقارن ما بين نعيمه وهو الخمر وقُدوره والنعيم الذي أعطي لسليمان عليه السلام، فأخذ بعض المفردات من الآية واستعمل القدور الراسيات قبل جفان كالجواب، وقد عد بعض الباحثين ذلك نوعاً من الاجترار (سليمي، وكياني، 2012: 110)، ففي المرجعية القرآنية غير المباشرة نجد أن الشاعر له حرية التصرف في اللفظ بزيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إيدال الظاهر من المضمهر، لأن "المقتبس منه ليس بقرآن حقيقة بل كلام يماثله، بدليل جواز النقل عن معناه الأصلي وتغيير يسير فيه" (ابن قرقماس، 2007: 217)، وهذا ما نجده في قوله حين يستدعي بعض الأصدقاء إلى لقائه وقد غاب عنه مدة من الزمن، فيقول يعلوه الشوق إلى رؤيته:

ليس كل وقت يجتمع الشم ل، ولا راجع لنا ما يفوت
فاغتم ساعة اللقاء فما تع لم نفس بأي أرض تموت (الحلي، د.ت: 597)

فقد عبر الشاعر في هذه الأبيات عن الصديق الذي ابتعد عنه وهجره، وهو مشتاق إلى لقائه، ولكن ليس كل وقت يطيب فيه اجتماع الشم، وما مضى لا يعود، فليس للإنسان إلا الساعة التي هو فيها وعليه أن يغتم ساعة اللقاء فيها، فما تعلم نفس متى تموت أو بأي أرض تموت في إشارة إلى قول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة لقمان: 34].

ومن ذلك أيضاً ما نجده في قوله في مديح أمير المؤمنين عليه السلام:

جل معنك أن يحيط به الشعر وتحضي صفاته النفاذ
إنما الله عنكم أذهب الرجس فردت بغیظها الاحتداد
ذاك مدح الإله فيكم، فإن فهت بمدح، فذاك قول معاد (الحلي، د.ت: 89)

يستعمل الشاعر هنا أسلوب القصر الذي يراد به تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص بحيث لا يتجاوز ولا يتعداه إلى غيره حقيقة أو ادعاء (السيوطي، 2011: 122) (التفتازاني، 2001: 381)، ويؤتي بالقصر للمبالغة في المعنى وتمكين الكلام وتقديره في ذهن المتلقي، وهذا وما وجدناه في قول الشاعر الحلي الذي يستعمل هذا الأسلوب ضمن مرجعية قرآنية واضحة يشير فيها إلى قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: 33]، ثم يؤكد هذه الإحالة بقوله إن هذا هو مديح الإله لآل البيت عليهم السلام، ونجد استعانه بالنص القرآني مع بعض التصرف فيه بالتقديم والتأخير كما في قوله:

هذي عصاي التي فيها مآرب لي وقد، أوش بها طورا على غمي (الحلي، د.ت: 702)

إذ نجد أن الشاعر في هذه البيت يستمد معناه من قوله سبحانه وتعالى في حكاية موسى بن عمران عليه السلام عندما سأله الله سبحانه وتعالى عن الشيء الذي في يمينه، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غمي ولي فيها مآرب أخرى [سورة طه: 17-18]، ونجد أن الاستعانة بالنص القرآني هنا من قبل الشاعر جار مجرى المقارنة بين الفائدة التي يجنيها سيدنا موسى عليه السلام من عصاه، والفائدة التي يجنيها الشاعر الحلي من مدح النبي صلى الله عليه وآله، ذلك أن ما أراده موسى عليه السلام في الآية الكريمة أنه "كان يسقط أوراق الشجر بعصاه لترعاه الغنم فتتفتح به، وما أراده صفي الدين من معنى هو تمثيل لحاله وتوسله لانتفاع نفسه بمديح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بحال الهش بالعصا على الغنم، وذلك على سبيل الاستعارة، حيث استعار العصا للمدحة بعد أن ذكر أن له فيها مآرب، وقد نقل الشاعر المقتبس منه عن معناه الأصلي إلى معنى آخر، ولا يضر ذلك في الاقتباس بل هو من محاسنه" (الفاقي، 2002: 290)، ومن ذلك أيضاً ما نجده في قول الصفي:

لما رفعت ناركم للساري أنست على النار هدى الاسرار

قد جنتكم أروم كمنها قبساً نوديت أن يورك من في النار (الحلي، د.ت: 676)

حيث تتمثل المرجعية القرآنية في هذه الأبيات في الإشارة إلى ما قاله الله سبحانه وتعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لَأَهْلِهِ إِنِّي آنَسْتُ تَارًا سَاتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكُمْ بِشَهَابٍ فَبِئْسَ لَكُمُ الْعَصْلُونَ﴾ فلما جاءها نودي أن يورك من في النار ومن حولها وسبحان الله رب العالمين [سورة النمل: 7-8]، فاستعمل الصفي لفظتي: أنس وقبس، فأضفى عليهما دلالة واضحة وصورة جميلة، وإذا كانت الصورة الشعرية هي العنصر الأساسي في عملية التقويم الفني أو الوسيلة التي يسعى الشاعر من خلالها إلى نقل أفكاره وعاطفته معاً إلى القارئ والسامع (الشاب، 1942: 241)، فإننا نجد أن الشاعر صفي الدين الحلي قد اتخذ من المرجعية القرآنية منبعاً لتلك الصور، إذ إن الشاعر الصفي قد اتخذ من الصورة الشعرية وسيلة مهمة للتعبير عن أفكاره ورواه، وذلك عبر تجسيد الأبعاد المختلفة التي تعكس مهارته الفنية في صياغة "نسخة جمالية تستحضر فيها لغة الإبداع، الهيئة الحسية أو الشعورية للأجسام أو المعاني بصياغة جديدة تملئها قدرة الشاعر وتجربته وفق تعادلية فنية بين طرفين هما الحقيقة والمجاز" (الصانع، 1987: 159).

الخاتمة:

- في ختام هذا البحث الذي تناول المرجعية الدينية في شعر صفي الدين الحلي، فقد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج كان من أبرزها:
- بينت الدراسة تنوع المرجعيات القرآنية في شعر الشاعر صفي الدين الحلي، وقد تناولنا منها جانبين يرى البحث أنهما من أهم المرجعيات في شعره، هما الجانب القرآني المباشر والجانب غير المباشر، وقد كان لثقافة الشاعر ومخزونه العلمي أثر كبير في استحضار الموروث القرآني في شعره.
 - أظهرت الدراسة الحضور الفاعل للمرجعية القرآنية في شعر صفي الدين الحلي، إذ تمكن الشاعر من توظيفها في شعره بنوعيتها النصي المباشر وغير المباشر.
 - بينت الدراسة إفادة الشاعر صفي الدين الحلي من مرجعيته القرآنية بما يتناسب مع غرضه الشعري، من مدح أو فخر أو ما سوى ذلك، الأمر الذي أعطى شعره بعداً إيحائياً ونظرة جمالية.
 - أوضحت الدراسة أن القرآن الكريم قد شكل مرجعية كبرى لشعر صفي الدين الحلي، إذ ظهر من خلال ذلك قدرة الشاعر الفنية وطاقته الشعرية وما يتبدى وراءهما من خلفية دينية وخلفية مكنته من القدرة على أن الاعتماد على كتاب الله والنصوص الدينية، وتدبر معانيها وتوظيفها في نصه الشعري.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

1. ابن الأثير، (1998): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
2. ابن قرقماس، ناصر الدين محمد، (2007): زهر الربيع في شواهد البديع، تح: مهدي أسعد عرار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
3. الفتنازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، (2001): المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تح: عبد الحميد هندوي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
4. الجاحظ، عمرو بن بحر، (1423هـ): البيان والتبيين، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة الأولى.
5. الحلي، شهاب الدين محمود بن سليمان، (1980): حسن التوسل إلى صناعة الترس، تح: أكرم عثمان يوسف، دار الحرية، بغداد، الطبعة الأولى.
6. الحلي، صفي الدين، (د.ت): ديوان صفي الدين الحلي، تح: الشويحي، دار صادر، بيروت.
7. سليبي، علي، وكبائي، رضا، (2012): التناسق القرآني في شعر محمود درويش وأمل دنقل، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد9، تاريخ 2012.
8. السيوطي، جلال الدين، (2011): شرح عقود الجمان في المعاني والبيان، تح: إبراهيم محمد الحمداني وأمين لقمان الحبار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى.
9. الشايب، أحمد، (1942): أصول النقد الأدبي، مطبعة الاعتماد، القاهرة، الطبعة الثانية.
10. الصائغ، عبد الإله، (1987): الصورة الفنية معياراً نقدياً منحنى تطبيقي على شعر الأعشى الكبير، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، الطبعة الأولى.
11. عبد السيد، سلمان محمد، (2023): دلالة اللون الأبيض في ديوان صفي الدين الحلي (750هـ)، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، مجلد 50 عدد 1، العدد الخمسون الجزء الأول. DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol50.Iss1.3422>
12. العلوي، يحيى بن حمزة، (2007): الإيجاز لأسرار كتاب الطراز في علوم حقائق الإعجاز، تح: بن عيسى الطاهر، دار المدار الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى.
13. الفاسي، محمد بن قاسم بن زاكور، (2002): الصنيع البديع في شرح الحلية ذات البديع، تح: بشرى البداوي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى.

Sources and References:

The Holy Quran

Abdul Sayed, Salman Muhammad, (2023): The significance of the color white in the Diwan of Safi al-Din al-Hilli (750 AH), Journal of the College of Education, University of Wasit, Volume 50, Issue 1, Issue 50, Part One.

DOI: <https://doi.org/10.31185/eduj.Vol50.Iss1.3422>

2. Ibn al-Athir, (1998): The Common Proverb in the Literature of the Writer and Poet, trans. Kamil Muhammad Awida, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition.
3. Ibn Qarqamas, Nasir al-Din Muhammad, (2007): Zahr al-Rabi' fi Shawahed al-Badi', trans. Mahdi Asaad Arar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition.
4. al-Taftazani, Sa'd al-Din Mas'ud ibn 'Umar, (2001): al-Mutawwal Sharh Talkhis Miftah al-'Ulum, trans. Abdul Hamid Hindawi, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, first edition.
5. al-Jahiz, Amr ibn Bahr, (1423 AH): al-Bayan wa al-Tabyin, Dar and Maktabat al-Hilal, Beirut, first edition.
6. Al-Halabi, Shihab al-Din Mahmoud bin Suleiman, (1980): Hassan al-Tawassul ila Sanat al-Tarsal, ed. Akram Othman Youssef, Dar al-Hurriyah, Baghdad, first edition.
7. Al-Hilli, Safi al-Din, (n.d): Diwan Safi al-Din al-Hilli, ed. Al-Shuwaihi, Dar Sadir, Beirut.
8. Salimi, Ali, and Kiani, Reda, (2012): Quranic Intertextuality in the Poetry of Mahmoud Darwish and Amal Dunqul, Journal of Studies in Arabic Language and Literature, Issue 9, Date.
9. Al-Suyuti, Jalal al-Din, (2011): Explanation of Uqud al-Juman in Meanings and Statement, ed. Ibrahim Muhammad al-Hamdani and Amin Luqman al-Habar, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, First Edition.
10. Al-Shaib, Ahmad, (1942): Principles of Literary Criticism, Al-Itimad Press, Cairo, Second Edition.
11. Al-Sayegh, Abdul-Ilah, (1987): The Artistic Image as a Critical Standard, an Applied Approach to the Poetry of al-A'sha al-Kabir, General Directorate of Cultural Affairs, Baghdad, First Edition.
12. Al-Alawi, Yahya bin Hamza, (2007): The Conciseness of the Secrets of the Book of al-Taraz in the Sciences of the Facts of the Miracle, ed. Bin Issa al-Tahir, Dar al-Madar al-Islami, Beirut, First Edition.
13. Al-Fasi, Muhammad bin Qasim bin Zakur, (2002): The Ingenious Craft in Explaining the Beautiful Ornament, edited by Bushra Al-Badawi, New Success Printing Press, Casablanca, Morocco, first edition.